



جامعة عين شمس

كلية الآداب

قسم الدراسات الفلسفية

الفينومينولوجيا عند جان فرانسوا ليوتار "دراسة تحليلية نقدية"

رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الحديثة والمعاصرة

إعداد

ريموندا سمير نجيب

إشراف

أ.د. محمد يحيى فرج

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب جامعة عين شمس

د. نشوى صلاح محرم

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب جامعة عين شمس

٢٠١٨

"أَنَا مَا أَنَا... بَلْ نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي مَعِي."
رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس "١٥ : ١٠"

فهرس

شكر وتقدير

٤

مقدمة

٥

الفصل الأول:

١٢ ليوتار بين الفينومينولوجيا وما بعد الحداثة

الفصل الثاني:

٦٣ علاقة ليوتار بالفينومينولوجيا: بين التأثير المعرفي والنقد السياسي

الفصل الثالث:

١١٨ تحليل الرؤية البنيوية للغة وتفكيك الخطابى بالتصويرى

الفصل الرابع:

١٨٤ تحليل لدور الفينومينولوجيا فى تأسيس فلسفة ليوتار عبر مراحلها

المختلفة

خاتمة

٢٤٧

ثبت المصادر والمراجع

٢٥٦

ملخص الرسالة باللغة العربية

٢٦٩

شكر وتقدير

أولاً: أشكر الله الذي أمدني بالقوة والصبر لإنجاز هذا البحث، فمنه وبه كل شيء لحياتنا، فالشكر، كل الشكر، لك يا رب على ما أغنيتنا به في حياتنا من نعم وعطايا لا نستحقها. فالمجد والشكر لإلهنا إلى أبد الآبدين.

ولأن الكلمات هي ما أملكه إزاء من غمرني بالجميل، ولأن الشكر هو بعض الاعتراف بهذا الجميل، فلا يسعني سوى أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل أ.د/محمد يحيى فرج أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة، بآداب عين شمس على تفضله باقتراح موضوع البحث، وعلى اهتمامه وآرائه، التي كان لها أثر كبير في هذا البحث. كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة نشوى صلاح محرم مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة، بآداب عين شمس التي أعانتي كثيراً بتوجيهاتها القيّمة، ولم تبخل عليّ بنصائحها ومساعدتها، والتي كان لآرائها أثر كبير في إخراج هذا البحث.

كما أتوجه بالشكر أيضاً إلى لجنة المناقشة الموقرة، الأستاذ الدكتور محمد مجدي الجزيري أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة بآداب طنطا، والأستاذة الدكتورة قدرية إسماعيل أستاذة الفلسفة الحديثة والمعاصرة بكلية التربية جامعة عين شمس على تفضلهما بقبول مناقشة هذا البحث. الله يجازيكم عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر إلى والدتي العظيمة ووالدي العظيم اللذين ساعداني بكل حب، وبدون كلل أو ملل، والذي لولاهما ما كان لهذا العمل أن يرى النور، فهما مصدر سعادتي وسبب نجاحي. لكما مني كل الحب والتقدير والاحترام.

كما أتوجه بالشكر إلى أخي وزوجي على تشجيعي، ومساعدتهما لي، وتحملهما عناء انتهائي من هذا البحث. لكما مني كل الحب والتقدير.

وأخيراً، أتوجه بالشكر إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة، ولكل من تذكروني في صلواته. لكم مني كل التحية والتقدير.

مقدمة

لقد كان للفينومينولوجيا تأثير كبير على أغلب فلاسفة ما بعد الحداثة مثل دولوز وفوكو ودريدا وبالطبع ليوتار، إذ إنهم استفادوا من الفينومينولوجيا بشكل كبير في فلسفتهم، وستتناول دراستنا إلى أي مدى تأثر فلاسفة ما بعد الحداثة بالفينومينولوجيا؟.

وستناقش دراستنا، تحديداً، تأثير ليوتار بالفينومينولوجيا، إذ إنه قدم قراءة جديدة للفينومينولوجيا من منظور ما بعد حداثي، وهي قراءة تبرز التأثير الأساسي للفينومينولوجيا في الفكر ما بعد الحداثي، أو مساهمتها الأساسية في تشكيل هذا الفكر. ورغم ذلك فقد مارس تيار ما بعد الحداثة، على يد ليوتار، نوعاً من التفكير على الفكر الفينومينولوجي ليقدم قراءة جديدة عنه تتوافق مع التحول الفلسفي في الألفية الثالثة. وستعرض دراستنا مدى استفادة ليوتار من الفينومينولوجيا، وكيف تجاوزها؟.

يعد ليوتار من الفلاسفة ما بعد الحداثيين الذين اهتموا بفينومينولوجيا هوسرل وعمل على تقديمها للفكر الفرنسي. فقد اهتم ليوتار بفينومينولوجيا هوسرل، وحاول أن يستكملها، وقدم قراءة جديدة لها من خلال ممارسة التفكير عليها، فما هي تلك القراءة التي قدمها ليوتار لفينومينولوجيا هوسرل؟.

تنقسم فلسفة ليوتار إلى ثلاث مراحل: المرحلة المبكرة وكتب فيها كتابي "الفينومينولوجيا" و"الخطاب، الصورة"، والمرحلة الليبيدية وكتب فيها كتاب "الاقتصاد الليبيدي"، والمرحلة الثالثة وتسمى بمرحلة "الخلاف" وكتب فيها "الوضع ما بعد الحداثي" و"عن العدل" و"الخلاف".

وستحاول الباحثة تتبع الفينومينولوجيا ومدى تأثيرها في أفكاره، وتتبع تصوراتهِ وتحليلاته عن الفينومينولوجيا، وأثرها على مجمل فلسفتِهِ بدءاً من فلسفته المبكرة وحتى مرحلة الخلاف.

الدراسات السابقة:

ميريت رمسيس قلته: الحقيقة عند جان فرانسوا ليوتار.
نشوى صلاح محرم: كانطية ما بعد الحداثة عند ليوتار.
تناولت الدراسة الأولى تصور الحقيقة عند ليوتار، وناقشت الثانية علاقة ليوتار بكانط، أما دراستنا فستكون مختلفة عنهما، لأنها ستتناول علاقة ليوتار بالفينومينولوجيا، وكيف استفاد منها طوال مراحل فلسفته المختلفة. وهاتين النقطتين لم يتم تناولهما في كلا من الدراستين السابقتين.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في أن الفينومينولوجيا أثرت بصورة كبيرة في الفكر ما بعد الحداثي عامة، وفي فكر ليوتار تحديداً، وتعد من الاتجاهات الرئيسية التي مهدت لظهور ما بعد الحداثة مثلها مثل إسهام كل من نيتشه، فرويد، هيدجر، وماركس وكانط. ومع ذلك لم تلقِ دراسة العلاقة بين الفينومينولوجيا والفكر ما بعد الحداثي عامة أهمية كبيرة في الدراسات العربية على الأقل.
وتكمن أهمية هذه الدراسة أيضاً في أنها تقدم لنا فهم أعمق للفينومينولوجيا، وما تسعى إليه من التخلص من الثنائية التقليدية بين الذات والموضوع التي ظلت سائدة طوال الفلسفة الحديثة، بالإضافة إلى رفضها للأفكار السابقة والمعايير الكلية الشمولية التي تتحكم في جوانب حياتنا.
كما نتيج لنا هذه الدراسة التعرف على دور الفينومينولوجيا في تقديم حلول لأزمة العلوم الإنسانية في مطلع القرن العشرين، إذإنها عملت على التخلص من الافتراضات الحتمية التي تحدد سلوك الإنسان، وأكدت على حرية الإنسان و قدرته على خلق عالمه بنفسه.

كما توضح لنا هذه الدراسة أهمية الفينومينولوجيا في فكر ليوتار، وبالرغم من أن أول كتاب له في مجال الفلسفة هو "الفينومينولوجيا"، وبالرغم من أهمية الفينومينولوجيا للحركة التي قام بها، فإن أغلب من تناول فكر ليوتار بالشرح والتفسير أغفل الفينومينولوجيا وأهميتها في فكره دون أدنى إشارة منهم إليها. لذلك سنتناول الدراسة الفينومينولوجيا عند ليوتار في مرحلته المبكرة، وتهتم بتوضيح دورها في فلسفته ككل في مراحلها المختلفة.

أما عن الأهمية الذاتية لهذه الدراسة للباحثة: فقد أتاحت لي إعادة قراءة للفينومينولوجيا من منظور ما بعد حدثي، كما أنها زودتني بالحيادية والموضوعية في التعامل مع الموضوعات، وأن أدرك الموضوعات على ما هي عليه، دون أن يشوبها أهواء أو مصالح أو تحيزات شخصية، وتجنب إصدار الأحكام عليها بناءً على أفكار الآخرين أو أفكار السابفة عنها، وأحاول الاقتراب من ماهيتها والتعرف على حقيقتها.

كما زودتني دراستي لليوتار بأهمية وضرورة قبول الآخر في اختلافه وتغايرها لأنه يمثل "حدث" بالنسبة لي ليس بإمكانني معرفة حقيقته أو إصدار الحكم عليه، لأن في ذلك ظلم لتفرده وخصوصيته. وينبغي عليّ قبول الآخر كما هو دون إخضاعه لقوانيني أو الحكم عليه طبقاً لمعايير الخاصة.

وننتقل أخيراً إلى الأهمية الأكاديمية لهذه الدراسة بالنسبة للمكتبة العربية، حيث نلاحظ ندرة الدراسات التي تناولت الفينومينولوجيا في فكر ليوتار، إذ لم تعثر الباحثة إلا على ترجمة ودراسة تحليلية لكتاب "الفينومينولوجيا" قدمها الأستاذ الدكتور محمد يحيى فرج، صادرة عن دار الرحمة للطباعة، عام ٢٠٠١.

وأيضاً في الدراسات الأجنبية، إذ إنهم تعاملوا مع الفينومينولوجيا عند ليوتار على أنها مرحلة أولية أو بدائية في فلسفته، واعتبروا أن فلسفته حينها لم تكن اكتملت بعد. لكن الأمر مختلف بالنسبة للباحثة لأنها ترى أن هناك علاقة قوية بين

الفينومينولوجيا وفلسفة ليوتار، وأن الفينومينولوجيا أثرت بشكل كبير في أفكاره وآرائه الفلسفية، واستمرت معه حتمرحلة الخلاف.

وبناءً على ذلك، ترى الباحثة أن هذه الدراسة ستمثل إضافة للمكتبة الفلسفية العربية من خلال عرض وتحليل للفينومينولوجيا عند ليوتار، ومن خلال تقديمها لقراءة جديدة لفينومينولوجيا هوسرل من منظور ما بعد حداثي.

أما عن الصعوبات التي واجهت الباحثة في هذه الدراسة، فإنها تكمن في ندرة المصادر والمراجع العربية، بل الأجنبية أيضاً، التي تناولت الفينومينولوجيا عند ليوتار، كما ذكرنا سابقاً.

إشكاليات الدراسة:

تتلخص الإشكاليات الرئيسية لهذه الدراسة في التساؤلات الآتية:

- ما هي الكيفية التي قام بها ليوتار لدراسة الفينومينولوجيا، وتقديم قراءة جديدة لها تتضمن المزيج من التبرني والتجاوز؟
- ما هي الإستراتيجية الجديدة التي وضعها ليوتار لقراءة الفينومينولوجيا، وعلاقتها بالعلوم الإنسانية في ضوء حركة ما بعد الحداثة؟
- ما هي الكيفية التي استخدم بها الفينومينولوجيا كأداة لنقد البنيوية وتجاوزها؟
- ما هي الكيفية التي استفاد بها ليوتار من فلسفة ميرلوبونتي في تفكيكه للخطاب النظري، وما هو أثر ميرلوبونتي على فلسفته بوجه عام؟
- إلى أي مدى تأثر ليوتار بالفكر الفينومينولوجي على مدار مراحل فلسفته المختلفة؟

هدف الدراسة:

يمكن توضيح أهداف الدراسة في المحاور التالية:

- إلقاء الضوء على تأثير الفينومينولوجيا في الفكر ما بعد الحداثي، وتحديدًا عند ليوتار.
- توضيح علاقة ليوتار الجدلية بالفينومينولوجيا بين التأثير والرفض، الاستخدام والتجاوز.
- توضيح الجوانب ما بعد الحداثية في الفينومينولوجيا.
- التعرف على الجوانب التي استمرت مع ليوتار في تأثره بالفينومينولوجيا بدءًا من فلسفته المبكرة حتى مرحلة الخلاف.

وستحاول الباحثة تحقيق هذه الأهداف من خلال الخطوات الآتية:

الفصل الأول: "ليوتار بين الفينومينولوجيا وما بعد الحداثة"، سيتناول هذا الفصل علاقة ليوتار بالفينومينولوجيا من منظور ما بعد حداثي، والخصائص العامة للفينومينولوجيا، وتحديدًا عند هوسرل، باعتباره مؤسس الفينومينولوجيا، بالإضافة إلى إنهسيوضح مساهمة الفينومينولوجيا في تشكيل الفكر ما بعد الحداثي.

الفصل الثاني: "علاقة ليوتار بالفينومينولوجيا: بين التأثير المعرفي والنقد السياسي"، سيتناول هذا الفصل قراءة ليوتار لفينومينولوجيا هوسرل من خلال كتابه الأول "الفينومينولوجيا"، كما سيتناول أيضاً أهمية الفينومينولوجيا بالنسبة للعلوم الإنسانية، ليبين كيف حاولت الفينومينولوجيا أن تتجاوز أزمة العلوم الإنسانية، كما سيناقش كيف استخدم ليوتار الفينومينولوجيا ليتجاوز الماركسية.

الفصل الثالث: "تحليل الرؤية البنيوية للغة وتفكيك الخطابى بالتصويري"، سيناقش هذا الفصل مشكلات اللغة عند سوسير، وموقف ليوتار منها من خلال الجانب الوجودى للغة عند ميرلوبونتي، كما سيتناول الخطاب عند ليوتار وتفكيكه بالتصويري في كتاب "الخطاب، الصورة" متأثراً بفينومينولوجيا ميرلوبونتي.

وأخيراً، الفصل الرابع: "تحليل لدور الفينومينولوجيا في تأسيس فلسفة ليوتار عبر مراحلها المختلفة"، وسيتناول هذا الفصل دور الفينومينولوجيا في تشكيل مراحل فلسفة ليوتار المختلفة.

أما من حيث المنهج، فسوف تتبع الدراسة منهجاً تكاملياً قوامه التحليل والتركيب والنقد، من أجل الإقتراب من الإجابة على الإشكاليات المتعلقة بالدراسة. وسوف تقدم خاتمة البحث تلخيصاً لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الفصل الأول

ليوتار بين الفينومينولوجيا وما بعد الحداثة

أولاً : السمات العامة للفينومينولوجيا.

ثانياً: ما بعد الحداثة عند ليوتار.

ثالثاً: لماذا الفينومينولوجيا بالنسبة لليوتار؟.

لقد كان للفينومينولوجيا (Phenomenology^(*))، تأثير كبير على أغلب فلاسفة ما بعد الحداثة الذين وجدوا في الفينومينولوجيا عدداً من التصورات التي ساعدتهم على تجاوز الفلسفة الحداثيّة عامة، والفلسفة البنيوية تحديداً. ومن الفلاسفة ما بعد الحداثيين الذين تأثروا بالفينومينولوجيا تأثراً جدياً، الفيلسوف الفرنسي المعاصر جان فرانسوا ليوتار (Jean-Francois Lyotard 1924-1998)، حيث قام بتحليل الفينومينولوجيا وتقديم قراءة جديدة لها، وقام بنقد بعض جوانبها في نفس الوقت، كما قام باستخدام بعض التصورات الفينومينولوجية، وتحديدًا عند ميرلوبونتي، في نقد وتجاوز الفكر البنيوي عند سوسير ولاكان.

ويعد ليوتار فيلسوف ما بعد حداثي وما بعد بنيوي، تغطي كتاباته الكثير من الموضوعات في الفلسفة والسياسة وعلم الجمال والفينومينولوجيا، كما تتناول فلسفته العديد من الموضوعات الرئيسية الشائعة عند فكر ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة. ويتميز ليوتار ليس فقط بإسهامه الكبير والمتنوع في الفكر ما بعد الحداثي، ولكن أيضاً لكونه الفيلسوف ما بعد الحداثي الوحيد تقريباً الذي اهتم بأن يرد، من خلال فلسفته، على النقد الموجه لما بعد الحداثة^(١).

يعتبر الفيلسوف الألماني إدموند هوسرل (E.Husserl 1859-1938) هو مؤسس فينومينولوجيا القرن العشرين، وتعد أعماله هي أهم رد فعل فلسفي أوروبي ضد وجهة النظر العلمية البحتة تجاه العالم، إذ يرى هوسرل أن الفينومينولوجيا تطلب منا أن نعود إلى تجربة إنسانية ملموسة، وهو ما يعتبره الإنجاز الذي قدمته

(*) فضلت استعمال تعريب لفظ Phenomenology على استعمال ترجمته لأن الترجمات الممكنة مثل "علم الظاهرات" أو "الفلسفة الظاهراتية" أو "الظاهريات" تحمل في اللغة العربية معنى ظاهر الشيء في مقابل باطنه وهو ما لا يتفق مع هذا الأسلوب الجديد في التفكير، ومن هنا كان لفظ "الفينومينولوجيا"، من وجهة نظر الباحثة، هو الأقرب إلى الدقة.

(١) Woodward, Ashley: Lyotard, Internet Encyclopedia Of Philosophy, 2002, In: <https://www.iep.utm.edu/lyotard/>

الحداثة... ولم يعارض هوسرل العلم الحديث، والعقلانية، ويعتقد أن الفينومينولوجيا وحدها يمكن أن توفر الأساس للعلم والعقل^(١). ولما كان هوسرل هو مؤسس الفينومينولوجيا، فينبغي علينا تقديم عرض سريع للخصائص الأساسية للفينومينولوجيا، وتحديدًا عند هوسرل، قبل تناول الفينومينولوجيا عند ليوتار.

أولاً: السمات العامة للفينومينولوجيا

لقد نشأت الحركة الفينومينولوجية منذ قرن تقريباً، وهي حركة عامة في الفلسفة، استطاعت أن تنفذ إلى معظم فروع المعرفة الثقافية وخاصة الطب النفسي وعلم الاجتماع. بدأت هذه الحركة في ألمانيا مع أول عمل لإدموند هوسرل وامتدت إلى سائر أوروبا وأمريكا وآسيا^(٢)، وهي واحدة من التيارات الفلسفية القوية في القرن العشرين، جنباً إلى جنب، مع الكانطية الجديدة والمثالية والمنطقية والنفعية والفلسفة الوجودية، بالإضافة إلى التابعين لتجريبية هيوم والوضعية والتجريبية النقدية، وتتجاوز الفينومينولوجيا، بشكل أو بآخر، مع تلك التيارات الفلسفية^(٣).

والفينومينولوجيا ليست مدرسة ولا نزعة في الفلسفة المعاصرة. إنها بالأحرى حركة قام مؤيدوها، لأسباب مختلفة، بدفعها في اتجاهات مختلفة، وكانت النتيجة أنها تعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين... وفي حين توجد العديد من التيارات ذات الصلة [ببعضها]، داخل هذه الحركة الفينومينولوجية ككل، فهي أيضاً غير متجانسة بأي حال من الأحوال. وعلى الرغم من أن هذه التيارات لديها نقطة انطلاق مشتركة، فإنها لا تسير في نفس الاتجاه. لقد تغير تفكير معظم الفينومينولوجيين إلى حد كبير إذ إنه لا يمكن عرض وجهات نظرهم بشكل كافٍ إلا من خلال

(١)Cahoone,Lawrence: From Modernism To Postmodernism"An Anthology", USA, Blackwell, First Published, 1996, P 226.

(٢)ليوتار،جان فرانسوا: الفينومينولوجيا، ترجمة وتقديم: د/محمد يحيى فرج، القاهرة، دار الرحمة للطباعة، بدون طبعة، ٢٠٠١، ص ٢٦.

(٣)Moran,Dermot: Introduction To Phenomenology, London, Routledge, First Published, 2000, P 1.

أظهارهم في تطورهم التدريجي، هذا صحيح ليس فقط بالنسبة لهوسرل، مؤسس الحركة الفينومينولوجية، ولكن أيضاً بالنسبة للفينومينولوجيين اللاحقين مثل شيلروهيديجر وسارتر وميرلوبونتي^(١).

هناك عدة اتجاهات تفرعت من الفينومينولوجيا هي: "فينومينولوجيا واقعية" تقوم على تفسير ووصف الماهيات الكلية، و"فينومينولوجيا تكوينية" تسعى إلى تفسير الأشياء عن طريق الوعي والشعور، و"فينومينولوجيا وجودية" تؤكد على مظاهر الوجود الإنساني في العالم، و"فينومينولوجيا هيرمنيوطيقية" تؤكد على أهمية التفسير في شتى مجالات الحياة، ويرجع الاتجاهان الأول والثاني إلى أعمال هوسرل نفسها بينما يرجع الاتجاهان الثالث والرابع إلى أعمال مارتين هيدجر إلى حد كبير^(٢).

وصف لامبرت J.Lambert(1728-1777)^(٣)، في القرن الثامن عشر، الفينومينولوجيا على أنها نظرية المظاهر الأساسية لجميع المعارف التجريبية... وتحدث برنتانو F.Brentano(1838-1917) عن "علم النفس الوصفي" أو "الفينومينولوجيا الوصفية"، وبعد ذلك بوقت قصير، بدأ هوسرل تطوير مفهومه الخاص عن الفينومينولوجيا باعتباره العلم الفلسفي الصارم الجديد الذي من شأنه أن يدرس الوعي consciousness والقصدية intentionality والمعنى sense^(٤). والفينومينولوجيا لديها، على الأقل، ثلاثة من المعاني الرئيسية في التاريخ الفلسفي: واحد في كتابات هيجل G.Hegel(1770-1831)، وآخر في كتابات هوسرل في عام ١٩٢٠، والثالث مستمد من عمل هوسرل في كتابات تلميذه السابق هيدجر M.Heidegger(1889-1976) في عام ١٩٢٧.

ونستطيع أن نعرف الفينومينولوجيا مبدئياً على أنها دراسة لبنية الخبرة أو الوعي، وبشكل حرفي "الفينومينولوجيا" تعني علم الظاهرة، تماماً كما تعني

(١) Audi, Robert: The Cambridge dictionary of philosophy, N.Y, Cambridge university press, Second edition, 1999, P 664.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٨.

(٣) رياضي وفيزيائي وفلكي سويسري، للمزيد أنظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

(4) Smith, David: Husserl, London & New York, Routledge, First Published, 2007, P 200.